Religious Idea, Catalyst, Historical Cycle, Human Capital, Doctrine of Change

by Husni Mubarrak

Submission date: 06-Jul-2022 05:51PM (UTC+0700)
Submission ID: 1867273290
File name: 10._Revised_FULL_PAPER_HUSNI.docx (57.21K)
Word count: 4990
Character count: 25099

الفكرة الدينية كمنطلق لإعادة بناء الحضارة الإسلامية:
قراءة معاصرة لشروط النهضة مالك بن نبي

د. حسني مبارك عبد اللطيف

مدير مركز دراسات الفقه المعاصر والحوار الحضاري

ومحاضر في جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية أتشيه إندونيسيا

husnilatief@yahoo.com

ملخص البحث

من أهم سمات خزائن فكرية للمفكر المسلم الجزائري مالك بن نبي هو اعتقاده السليم على اشتراطية الفكرة الدينية كدافع وباعث في تكوين حضارة إنسانية ما، من بينها الحضارة الإسلامية. بجانب اعتقاده الوثيق بإمكانية "الدورة التاريخية" لحضارة الإنسان اتباعا وتأثرا بأفكار ابن خلدون (732–808هـ) إذ من المعلوم أن لهذه الأمة الإسلامية لها طاقاتها الضخمة للنهضة لإعادة ازدهار حضارتها من جديد حيث قد سجلت تقدما وإنجازا هائلا في مجالات شتى ما يبلغ أكثر من ثمانية قرون عبر التاريخ، فمن الممكن لها إعادة تاريخها الحضاري.

انطلاقا من هذه الفكرة، بنى مالك بن نبي أطروحته على أن تكوين الحضارة تتركز في تأثير الفكرة الدينينة الممتزجة في تفاعل العلاقة المتينة الفعالة الثلاثية: بين الإنسان والتراب والوقت، حيث لكل منها تحتاج إلى توجيهها الخاص سواء أكان من ناحيتها الثقافية والعمل وتجميع رأس المال وتوظيفه لإعادة بناء الحضارة حتى تتمكن من إعادة دورتها التاريخية.

هذا البحث يعتمد على الدراسات المكتبية من خلال أعمال مالك بن نبي خاصة عمله المعنون "شروط النهضة" قراءة معاصرة. باستخدام طريقة البحث الاستقرائي التحليلي، يهتم هذا البحث بطرح قضايا البحث، منها: إلى أي مدى تأثر الفكرة الدينية في إعادة بناء الحضارة الإسلامية؟ كيف ترجم مالك بن نبي مفهوم فقه التغيير لإعادة بناء الحضارة؟ لماذا أقام مالك بن نبي أطروحته على تأثر الفكرة الدينية لبناء الحضارة مع أن أوروبا والدول الغربية في الوقت الراهن قد وصلت إلى دور ما بعد السيكولارية (post-secularism) المبتعدة عن الدين؟ و ما هو التحليل المقترح لحل مشكلة حضارتنا الإسلامية الآن من أوضاع "المستعمر" أو حتى "قابل للاستعمار"؟

ونتيجة البحث حصل عليها الباحث أن مالك بن نبي ركز جل اهتمامه أن لصناعة أي ناتج حضاري لابد من أن يحصل من تراكم القوى الثلاث ذات علاقة وظيفية حسب

طريقة الجمع المستخدمة في علم الحساب من إنسان + تراب + وقت. ثم تقوم الفكرة الدينية كمركّب الحضارة أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض. وتأثير الفكرة الدينية ذو أهمية كبرى في بناء الحضارة. وتكون الفكرة الدينية رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ، ومن دونها لا يتم التفاعل المطلوب.

الكلمات المفتاحية: الفكرة الدينية، مركب الحضارة، الدورة التاريخية، الثروة البشرية، فقه التغيير

ABSTRACT

One of the most important features of the prominent intellectual and the Algerian Muslim thinker, Malik bin Nabi, is his belief in the requirement of the religious idea as a motive and promoter in the formation of a human civilization, including Islamic civilization. As well as his close belief in the possibility of the thought "historical cycle" of human civilization which quite influenced by the ideas of Ibn Khaldun (1332-1406 AC), as it is known that this Islamic *ummah* has the enormous potential for the renaissance and the re-prosperity of its civilization again where it has made progress and enormous achievement in various areas of more than eight centuries throughout history, so that it is possible to re-establish its cultural and civilized history.

Based on this idea, Malik bin Nabi wrote his thesis that the formation of civilization is centered on the influence of the religious idea that is intertwined in the interaction of the strong, effective relationship of triple: among man, soil and time, each of these needs its own direction, whether it is cultural, labor, capital accumulation and employment so it can re-build civilization in its historical cycle.

This research is based on the bibliographical studies through the work of Malik bin Nabi especially his work entitled "Conditions of Renaissance" (*syuruth nahdhah)*: a contemporary reading. By using the method of analytical inductive research, this research deals with the issues of research, including: to what extent is the religious idea affect upon the reconstruction of Islamic civilization? How did Malik bin Nabi translate the concept of the doctrine of change to rebuild civilization? Why did Malik bin Nabi raise his thesis on the influence of the religious idea to build civilization, even though Europe has now reached the post-secularism of religion? What is the proposed analysis to solve the problem of our Islamic civilization now from the current Muslim conditions of "being colonized" or even "surrender to colonialism"?

As the result of the research, it is found that Malik bin Nabi focused his attention that to produce any cultural and civilization product must be obtained from the accumulation of the three forces that have a functional relationship according to the method of collection used in computational science of human + dust + time. Then the religious idea as the composite of civilization, which affects the mixing of the three elements of each other. The influence of the religious idea being great importance element in building

civilization. The religious idea has always accompanied the installation of civilization throughout history.
Keywords: *Religious Idea*, *Catalyst*, *Historical Cycle*, *Human Capital*, *Doctrine of Change*

1. مقدمة

يعدّ كتاب "شروط النهضة" للمفكر المسلم الجزائري، مالك بن نبي، ذا أهمية بالغة في القرن العشرين إذ يقدّم في داخله تفحيص أسباب التدهور والانحطاط لبلاد المسلمين بعامتها و للأمة الإسلامية بأسرها تحليلا منهجيا. ويزداد الكتاب أهمية لأن الكاتب لا يكف الإشارة عن مشكلات الحضارة الإسلامية التي تواجهها الأمة في الوقت الراهن فحسب، بل أيضا يقدّم بدقة النقد وعمق التحليل و صرامة المنطق المناقشات والشواهد في محاولة حل هذه المشاكل معتمدا على اعتقاده الوثيق بتأثير الفكرة الدينية وفقه التغيير لإعادة بناء الحضارة الإسلامية من جديد.

الكتاب الذي صدر أصلا بالفرنسية عام 1949م تحت عنوان *les Conditions de la Renaissance* ما زال—ولايزال—مهما للغاية حيث يقدّم البحث فيه عن قضايا حضارية إسلامية راهنة ويتناقش فيه أيضا عن إمكانية الدورة التاريخية حيث إن التاريخ يعيد نفسه فلا بد إذن من العثور على أسباب التدهور والتراجع وعوامل التقدم لأي حضارة من أجل النهضة والصحوة. أما ترجمة الكتاب إلى العربية صدر أولا عام 1957م ثم عام 1960م للطبعة الثانية مع بعض الإضافات والتعديلات من قبل المؤلف استجابة لتعليقات وأسئلة قراء الطبعة الأولى.

بالرغم من أن الكتاب يتحدث كثيرا عن أحوال ظواهر معظم بلاد المسلمين المستعمرة في قارة آسيا وأفريقيا في الخمسينيات مع اهتمامه المتركّز بالجزائر كالمثال، فإن الكتاب يأتي بتصوير حالة عامة بلاد المسلمين المستعمرة وقتذاك، بل قابل للاستعمار (بن نبي، 2000أ: 33). رغم أن أرض بلاد المسلمين أرض خصبة غنية بضخامة ثرواتها الطبيعية، لكنها لا تتمكن من الخروج من مزالق التخلف والتبعية والمحاكاة، بل

يتسم العالم الإسلامي بالألم والجوع والأسمال والجهل. و في هذا، كتب مالك بن نبي "أن أي شعب لاينجو من الاستعمار وأجناده، إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار".

في تلك الحالة المؤسف لها، يأتي عمل مالك بن نبي المعنون "شروط النهضة" بأهمية تفحيص وتحليل الحالة المسلمة الراهنة المتخلّفة بمساعدة علم الاجتماع تحليلا منهجيا. من الجدير بالذكر أن مالك بن نبي في اعتقاده الوثيق أن الفكرة الدينية عاملا اجتماعيا يؤثر في توجيه التاريخ وتكوين وتطوير الواقع الاجتماعي، بل الفكرة الدينية تتدخل كمركّب في تركيب عناصر التاريخ، أو بأدق العبارة، يمكن أن يقال أن الفكرة الدينية لاتقوم بدورها الاجتماعي إلا إذا كانت متمسكة بقيمتها الغيبية (بن نبي، 2000ب).

وعلى هذا، بنى مالك بن نبي أطروحته بأن لصناعة أي ناتج حضاري لابد من أن يحصل من تراكم القوى الثلاث ذات علاقة وظيفية حسب طريقة الجمع المستخدمة في علم الحساب من إنسان + تراب + وقت. ثم تقوم الفكرة الدينية كمركّب الحضارة أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض. وهذا المركب موجود فعلا، كما أن تركيب الماء نتاج للهيدروجين والأكسجين، لكنهما لايكونانه تلقائيا، بل يخضع لقانون معين يقتضي تدخل (مركب) ما حيث لا تتم عملية تكون الماء بدونه، وكذلك الحال للفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ، ومن دونها لا يتم التفاعل المطلوب.

تأثر مالك بن نبي بكثير في بناء أطروحته المذكور أعلاه بفكرة فيلسوف التاريخ الألماني، "هرمان كيسرلنج" (1880–1946م) حيث استخلصت آراؤه من دور الفكرة المسيحية في تركيب الحضارة الغربية مما يمد بن نبي بتخطيط تحليلي للواقعة المسيحية لكي يتمكن من أن يدرج في نطاقه الواقعة الإسلامية لما فيها من وجوه التماثل البيولوجية

التاريخية المعينة التي تضع الحضارة في كلتي الواقعتين ضمن حالات تطورية متشابهة، وهي الحالات الثلاث: النهضة، والأوج، والأفول.

كما تأثره أيضا بفكرة فيلسوف التاريخ البريطاني، "جون أرنولد توينبي" (1889–1975م) في الكشف عن العوامل التي تسهم في قيام الحضارة وتقدم الشعوب حيث جاء تونبي بتفسير ضخم للحضارة يلعب فيه العامل الجغرافي دورا أساسيا، حيث يكون عنوان هذه النظرية بصفة خاصة على غايات سياسية وعسكرية (القاعدة الجغرافية للتاريخ).

غير أن اقتناع مالك بن نبي بفكرة ابن خلدون (808–732هـ/ 1332–1406م) في تفسير الوقائع التاريخية في إطار معين المعروف بقانون الدورة التاريخية عن تطوّر الدولة وليس عن تطور الحضارة، لكن هذا قد مكّنه من تفسير قانون ظاهرة الحضارة. إذ من المعلوم، أن حضارة معينة تقع بين حدين اثنين: الميلاد والأفول. وبين الطورين يوجد اكتمال معين، و هو طور انتشار الحضارة وتوسعها (بن نبي، 2000أ: 69–73).

بالنظر إلى الوضع الحالية، فإن أطروحة تأثير الفكرة الدينية كباعث ودافع ومنطلق لإعادة الحضارة الإسلامية من جديد يحظو أهميته ويحتاج إلى بيان كاف لهذه الفكرة معتضدا بالشواهد الاجتماعية والتاريخية وغير النقلية فقط. والأمة الإسلامية لها طاقاتها الضخمة للنهضة لإعادة ازدهار حضارتها من جديد حيث قد سجلت تقدما وإنجازا هائلا في مجالات شتى ما يبلغ أكثر من ثمانية قرون عبر التاريخ، فمن الممكن لها إعادة تاريخها الحضاري.

هذا البحث يعتمد على الدراسات المكتبية من خلال أعمال مالك بن نبي خاصة عمله المعنون "شروط النهضة" قراءة معاصرة. باستخدام طريقة البحث الاستقرائي التحليلي، يهتم هذا البحث بطرح قضايا البحث، منها:

أ) إلى أي مدى تأثر الفكرة الدينية في إعادة بناء الحضارة الإسلامية؟

ب) كيف ترجم مالك بن نبي مفهوم فقه التغيير لإعادة بناء الحضارة؟

ت) لماذا أقام مالك بن نبي أطروحته على تأثر الفكرة الدينية لبناء الحضارة مع أن أوروبا والدول الغربية في الوقت الراهن قد وصلت إلى دور ما بعد السيكولارية (post-secularism) المبتعدة عن الدين؟

ث) و ما هو التحليل المقترح لحل مشكلة حضارتنا الإسلامية الآن من أوضاع "المستعمر" أو حتى "قابل للاستعمار"؟

للوصول إلى إجابة تلك التساؤلات، من المستحسن أن يقوم هذا البحث المتواضع بسرد موجز عن لمحة حياة مالك بن نبي أولا. ثم يليه البحث في ترجمة مفهوم فقه التغيير حسب ما قصده مالك بن نبي وإمكانية الدورة التاريخية لإعادة بناء الحضارة الإسلامية من جديد. وبعد ذلك، البحث في شروط النهضة لإعادة بناء الحضارة عند مالك بن نبي، إلى أن تنتقل إلى جوهر هذا البحث في الحديث عن تأثير الفكرة الدينية كمركب الحضارة قراءة معاصرة. وتختتم هذه المقالة ببعض الخلاصة الهامة من هذه الدراسة.

2. لمحة من حياة مالك بن نبي

لا يكون هذا القسم جزءا من البحث سوى معرفة حياة مالك بن نبي سردا موجزا، ومعرفة خلفياته الدراسية وتكوين ثقافته العلمية وديناميكيات حيوية جدلية فكرية وعلمية مرّ بها مالك بن نبي في حياته إلى أن يصل إلى نتيجة وخلاصة أهمية أفكار شروط النهضة للأمة الإسلامية. فإن معرفة حياته نقطة مهمة قبل البحث والمناقشة عن أفكاره.

ولد مالك بن نبي، مفكر إسلامي بارز، في مدينة قسنطينة في الشرق الجزائري سنة 1905م، في أسرة فقيرة بين مجتمع جزائري محافظ تخرج بعد سنوات الدراسة الأربع، في مدرسته التي اعتبرها "سجناً" يعلّم فيه كتابة "صك زواج أو طلاق" وتخرج سنة 1925م.

ثم انتقل وسافر بعدها مع أحد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد مجددا إلى مسقط رأسه. وبعد العودة تبدأ تجارب جديدة في الاهتداء إلى عمل، كان

أهمها: عمله في محكمة آفلو، احتك أثناء هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب فبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده.

ثم أعاد الكرة سنة 1930م بالسفر لفرنسا، ولكن هذه كانت رحلة علمية. حاول أولا الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية، إلا أنه لم يكن يسمح للجزائريين أمثاله بمزاولة مثل هذه الدراسات. تركت هذه الممارسات تأثيرا في نفسه. فاضطّر للتعديل في أهدافه وغاياته، فالتحق بمدرسة (اللا سلكي) للتخرج كمساعد مهندس، ممّا يجعل موضوعه تقنياً خالصاً، بطابعه العلمي الصرف، على العكس من المجال القضائي والسياسي.

بعد ذلك انغمس في الدراسة، وفي الحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وشرع يؤلف، في قضايا العالم الإسلامي كله، فكان سنة 1946م كتابه "الظاهرة القرآنية" ثم "شروط النهضة" سنة 1949م، الذي طرح فيه مفهوم "المستعمر" "والقابلية للاستعمار". أما كتابه "مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي" فيعتبر من أهم ما كتب بالعربية في القرن العشرين.

انتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر سنة 1954م وهناك حظي باحترام، فكتب "فكرة الإفريقية الآسيوية 1956" أو سنة بعد المؤتمر لقارة آسيا أفريقيا المنعقدة في باندونج، إندونيسيا، لأجل الاستقلال وفك دول آسيا وأفريقيا من الاحتلال والاستعمار الغربي.

وبعد استقلال (الجزائر) عاد إلى الوطن، فعين مديراً للتعليم العالي الذي كان محصوراً في (جامعة الجزائر) المركزية، حتى استقال سنة 1967م متفرغاً للكتابة والعمل الفكري، بادئاً هذه المرحلة بكتابة مذكراته، بعنوان عام "مذكرات شاهد للقرن" حتى أن قضى نحبه يوم 31 أكتوبر 1973م.

جاء في مذكراته صورة عن نضال (مالك بن نبي) الشخصي في طلب العلم والمعرفة أولاً، والبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية ونتائجها السلبية المختلفة وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وآثاره، ممّا عكس صورة حية لسلوك المحتلين الفرنسيين

أنفسهم في (الجزائر) ونتائج سياستهم، ووجوهها وآثارها المختلفة: الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية.

كما أن مذكراته عبّر بشكل قوي عن صلته بوطنه، وآثار الاستعمار والدمار الذي أحدثه في (الجزائر) سياسياً، وزراعياً، واقتصادياً، وثقافياً، واجتماعياً، فهو شاهد على حقبة مظلمة في تاريخ الجزائر وظروف مواجهة الفعل الاستعماري العنصري.

3. فقه التغيير وإمكانية الدورة التاريخية

لو أمعنا وتأملنا بدقة أفكار مالك بن نبي من خلال كتاب "شروط النهضة" لوجدنا أن جوهر فكرته يتبلور في حتمية التغيير لترتفع أحوال الأمة من "المستعمرة" أو "القابلة للاستعمار" إلى النهضة ليتحقق ما قصده من الدورة التاريخية للشعب. وردّد مالك بن نبي مرارا عن أهمية فقه التغيير لأجل النهضة. وفكرة النهضة وروح الصحوة لا يمكن أن تتأتي على السطح تلقائيا في حياة الأمة الإسلامية بدون روح فقه تغيير الحال إلى ما هو أحسن مما كان، نظرا بأن حالة معظم بلاد المسلمين كانت مستعمرة، فرأى مالك بن نبي أن الاستعمار ليس مجرد عارض، بل هو نتيجة حتمية لتدهور المسلمين وانحطاطهم. إن كان الاستعمار في الزمن البعيد على وجهه عسكريا—وما زال ولا يزال، فيكون الاستعمار والاحتلال والاستغلال في الوقت الحاضر يكون على وجهه اقتصاديّا وسياسيّا وهيمنة (hegemony) من الدول المتقدمة الغربية على الدول النائمة التي معظمها الأمة المسلمة.

وأوضاع المسلمين الراهنة المتدهورة يمكن رؤيته جزءا من ضمن الدورة الخالدة للتاريخ منذ الميلاد ثم انتقل إلى الأوج بفترة طويلة من الزمان لانتشار الحضارة الإسلامية وتوسعها وتنافسها حتى أن تنزلق الآن في عصر الانحطاط. من هنا، فإن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى فقه التغيير وتغيير العقلية (mindset change) وتغيير

الفكرة لليقظة والنهضة من جديد من كونها الحالي العملاق النائم لأن التغيير من الحياة قد أقلق كثيرا أولئك الذين كانت مواردهم وإمكانياتهم مستمدة من سبات الأمة الإسلامية.

وهذا التغيير يبدأ أولا من تغيير النفس ليكون أساسا لكل تغيير اجتماعي. وهذا متفق تماما على وعد رباني كما جاء في القرآن الكريم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم – الرعد 11/13). فإن التغيير لايتأتي بدون جهود وكفاح الإنسان والمجتمع لتحقيقه حتى إنها لشرعة السماء: غير نفسك تغيّر التاريخ! لأن الحقوق تؤخذ ولاتعطى! و لأن الحق ليس هدية تعطى ولا غنيمة تغتصب، كما جاء على حد التعبير لمالك بن نبي في كتابه.

في هذا الصدد، للتأكيد على أهمية التغيير والإصلاح، قارن مالك بن نبي بين التجربة والتاريخ مع التحليل بطبيعة الحال، لكل من الحضارتين: الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية لتبرير ما بنى عليه من أطروحته. فوجد مالك بن نبي أن التغيير لأجل النهضة لابد من تحديد الأوضاع و وضع الفكرة بطريقتين:

الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي

الثانية: إيجابية تصلنا بمقتضيات المستقبل

وكلتا الطريقتين ساريتا المفعول إذا تتبّعنا تجربة وتاريخ كلتي الحضارتين: الغربية والإسلامية. في الحضارة الغربية، يوجد توماس الإكويني الإيطالي (1225–1274م) الذي كانت ثورته ضد ابن رشد و ضد القديس أغسطين—ولو عن غير قصد منه—مظهرا للتجديد السلبي بتصفية فكرة إسلامية أو ميراثا ميتافيزيقيا للكنيسة البيزانطية لتكوين الأساس الفكري للحضارة الغربية. ثم يأتي بعد ذلك بفترة من الزمان ديكارت (1596–1650م) بالتجديد الإيجابي بتعريف الطريقة الموضوعية التي يبنى على المنهج التجريبي، الطريق الذي مهّد وأصبح سببا مباشرا لتقدم المدنية الحديثة للحضارة الغربية تقدمّها المادي.

مقارنة إلى ما سبق، كذلك الحال إذا نظرنا إلى تاريخ الحضارة الإسلامية، فإنها جاءت بالتحديدين: السلبي والإيجابي. غير أن الحضارة الإسلامية قامت في بداية تاريخها بهذين التحديدين مرة واحدة: بنفي الأفكار الجاهلية البالية ثم برسم وتصميم طريق الفكرة الإسلامية الصافية التي تخطط للمستقبل بطريقة إيجابية (بن نبي، 2000أ: 86-88).

أما القرن العشرون حتى وقتنا المعاصر الحالي، من الضروري إذن تحديد هذين الأمرين اليوم لأجل تركيب النهضة الإسلامية من جديد. بعد أن استغرقت الأمة الإسلامية تحت الاستعمار الغربي لعدة قرون ماضية، فقد شهدنا فعلا روح الإصلاح والتغيير من قبل دعاة ورواة الإصلاح أمثال جمال الدين الأفغاني (1897-1838م) و محمد عبده (1905-1849م) التي هبت على العالم الإسلامي ولا سيما دول آسيا وأفريقيا لإيقاظها من نومها العميق والفكّ من سيطرة قوى استعمارية.

لكن مثل هذه الحركة فقط في التحديد السلبي الذي حاولوا فيه تحطيم علل المسلمين وعوامل انحطاطهم. بينما التحديد الإيجابي—رغم وجوده، بوضع منهاج جديد للتفكير من عناصره الجوهرية لأجل نهضة الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها من جديد، مثل ما فعله ديكارت للحضارة الغربية، لايزال غامضا ولم يكن واضحا، إن صحّ التعبير بذلك (بن نبي، 2000أ: 87).

حتى بعد الاستقلال من عهد الاستعمار، مازال العالم الإسلامي نفسه يواجه تحديات شتى لتأكيد الفك عن قبضة الاستعمار في ثوبه الجديد فكا تاما، ألا وهي وجود الحكومة التي في الأصل ما هي إلا آلة اجتماعية تتغير تبعا للوسط الذي تعيش فيه وتتنوع معه، لكن الحكومة في واقعها أيضا هي وجه آخر من الشعوب التي تمثّلها. لذلك، "إذا كان الوسط نظيفا حرّا، فما تستطيع الحكومة أن تواجهه بما ليس فيه. وإذا كان الوسط متسما بالقابلية للاستعمار فلا بد من أن تكون حكومته استعماريّة" (بن نبي، 2000أ:33). بناء على هذا، فإن الاستعمار لا يتأتي تلقائيا إلا بقبول الإنسان والمجتمع نفسه لذلّ الاستعمار أو قابل للاستعمار قبولا مذلا.

وكذلك الحال لمعظم العالم الإسلامي والبلاد الإسلامية التي كانت حكومته مستبدة من تأدية حقوق شعبها كما هي موجودة كثيرا في الأوقات الراهنة، فإن التغيير لايجيء مباشرة مجانا، لكن من المفروض أن يتأتي التغيير بتحوّل نفسي أولا، يصبح الفرد معه شيئا فشيئا قادرا على القيام بوظيفته الاجتماعية باحترام كرامته لكي يرتفع عنه طابع (القابلية للاستعمار). وكان التاريخ يقرر أن الفرد أو الشعب الذي لم يقم بوظيفته ورسالته، ما عليه إلا أن يخضع ويذل. بعبارة أخرى، أن بتغيير نفسه قد غيّر وضع حاكميه تلقائيا إلى وضع أحسن يرتضيه (بن نبي، 2000أ:33؛ الريسوني، 2011).

نظرا لأهمية فقه التغيير، فلا بد من تدقيق فحص المسائل والقضايا لكي يتمكن العالم الإسلامي وشعوبه من الخروج من كونه المستعمر أو القابلة للاستعمار ومن أي عقدة النقص (inferiority complex). ثم بعد الانتهاء من ذلك، بدأ يأخذ محاولة العثور على دواء أنسب لمعالجة مشكلات حضارية وتصميم فكرة حضارية مرضية للمستقبل لكي تتحقق الدورة التاريخية المنشودة من الأفول إلى النهضة.

وعلى هذا الأساس، بنى مالك بن نبي أطروحته على إمكانية الدورة التاريخية للأمة الإسلامية إذ لها طاقاتها الضخمة للنهضة لإعادة ازدهار حضارتها من جديد حيث قد سجلت تقدما وإنجازا هائلا في مجالات شتى ما يبلغ أكثر من ثمانية قرون عبر التاريخ، فمن الممكن لها إعادة تاريخها الحضاري مع المحافظة على أصالتها (التأصيل)، وأيضا كونها مرنة لكل تغيرات صالحة التغيير.

ولكون التاريخ دورة وتسلسلا، اقتبس مالك بن نبي مقولة لنيتشه: "إنه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه، كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الانقلاب".

4. شروط إعادة بناء الحضارة

في الحديث عن بناء الحضارة، بنى مالك بن نبي أطروحته بأن لصناعة أي ناتج حضاري لابد من أن يحصل من تراكم القوى الثلاث ذات علاقة وظيفية حسب طريقة

الجمع المستخدمة في علم الحساب من إنسان + تراب + وقت. ثم تقوم الفكرة الدينية كمركّب الحضارة أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض. وهذا المركب موجود فعلا، كما أن تركيب الماء نتاج للهيدروجين والأكسجين، لكنهما لايكونانه تلقائيا، بل يخضع لقانون معين يقتضي تدخل (مركب) ما حيث لا تتم عملية تكون الماء بدونه، وكذلك الحال للفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ، ومن دونها لا يتم التفاعل المطلوب.

انطلاقا من هذا، فالحضارة لايمكن إنتاجها من حالة الإنسان المستعمر أو خاضع لذل الاستعمار، لأن مكانة الإنسان أو الأمة المذلة فقط تؤدي إلى حالة أمة مستهلكة وليست بمنتجة. وهذا هو الواقع ما واجهته الأمة الإسلامية الآن بعد عهد الاستعمار حيث لاتتمكن من النهوض من حالتها الراهنة المسيطرة.

بينما يمكننا مقارنة تلك حالة الأمة الإسلامية الراهنة بحالة بعض الشعوب الأخرى مثل ما وقعت على دولة ألمانيا واليابان اللتين تحطمتا بعد تغلبهما في الحرب العالمية الثانية، لكنهما سرعان ما تحولهما إلى الإصلاح والتطوير والتقدم في السنين العديدة وتبني حضارتها من جديد حتى أن أصبحت الآن ضمن دول متقدمة. فاليابان مثلا من الشواهد الناجحة في التحول من بادرة الحضارة إلى الحضارة الحديثة خاصة بعد ما وقعت إصلاح ميجي بين عام 1868–1912م.

من هنا، صناعة الحضارة ليست بسهولة، ولكن تقتضي إلى الأعمال الجادة والمخططة، إذ يعني ذلك عند مالك بن نبي، إغراس شيء معنوي وليس بحسي في العناصر الثلاث من إنسان، وتراب، ووقت. وصناعة الحضارة لايمكن أن تحصل إلا بوضع وتحديد نظرتها الكونية ورؤيتها العالمية (worldview) التي لا يمكن إستعارتها أو إقتراضها أو حتى بيعها من حضارة أخرى، لا كما ولا كيفا (بن نبي، 2000أ: 47–49؛ Al-Attas, 1995: 2).

ولأجل النهضة وبناء الحضارة من جديد، لابد من فكرة التوجيه لكل من عناصر ثلاثة لتكوين الحضارة وهي الإنسان والتراب والوقت. والمراد بفكرة التوجيه هنا كما حذره مالك بن نبي هو تفعيل قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف مع تجنب الإسراف والتضييع في الجهد والوقت حتى لاتتسرب وتتضيع الطاقة والقوى (effective and efficient).

بالملاحظة إلى حالة القرن العشرين، فإن الإنسان—حسب فكرة مالك بن نبي— يؤثر في المجتمع في تركيب التاريخ بثلاثة مؤثرات، وهي بفكره، وبعمله، وبماله. والحاصل أن قضية الإنسان منوطة بتوجيهه في نواح ثلاث: بتوجيه الثقافة لإنماء فكره المتحضر؛ وتوجيه العمل لإنماء أخلاقيات العمل؛ وتوجيه رأس المال لتحريكه ليتداول لنفع المجتمع وليس باحتكار عند فئات أو طبقات معينة من المجتمع (بن نبي، 2000أ:83-119). والبحث في موضوع الإنسان من أهم البحوث والدرسات الراهنة عن التنمية المعروفة بترقية كفاءة وإنماء الطاقات البشرية (human capital).

بينما العنصر الثاني لتكوين الحضارة، وهو التراب، فإن البحث فيه عن قيمته الاجتماعية. وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه. إذا كانت الأمة تعيش في الحضارة المتقدمة، فإنه يؤدي إلى قيمة التراب غالي القيمة. وكذلك العكس، إن كانت الحضارة متدهورة ومتخلفة بسبب التأخر، فتكون قيمة التراب على شيء من الانحطاط. فلا بد للأمة الإسلامية من تفعيل طاقاتها ومنتجاتها الأرضية للدعم الذاتي أولا ولتكن ممسكة عن الحاجة إلى منتجات مستوردة.

وأما العنصر الثالث، الوقت، لاشك أن الوقت الزاحف لايجب أن يضيع هباء. بتحديد فكرة الزمن لتكوين الحضارة يتحدد معنى التأثير والإنتاج لأن الوقت في مجتمع متحضر أغلى من الذهب لإدراك قيمته (بن نبي، 2000أ: 139-147).

5. الفكرة الدينية كمركب الحضارة

بعد الحديث عن أهمية تراكم القوى الثلاثة بين الإنسان والتراب والوقت، فإنه يحتاج الآن إلى العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، ألا وهي الفكرة الدينية. ليس من السهل فهم فكرة مالك بن نبي مباشرة فيما يخص بدور الفكرة الدينية كمركب الحضارة. سلمنا هذه الأطروحة إذا رأيناها وقاربناها من ناحية الاعتقاد بالقيم الدينية أو الغيبية. لكن ما أبداه مالك بن نبي من الأفكار والآراء يجاوز ذلك، إذ حاول بناء الأدلة والحجج العلمية لتبرير ماقدمه من الأطروحة من منظور علم الاجتماع معتضدا بالشواهد المعقولة للإشارة إلى الارتباط بين وجود الدين وظهور الحضارة، وليس بتأييد وقائع تاريخ الحضارة فحسب.

من خلال كتابه "شروط النهضة"، لوجدنا أن مالك بن نبي تأثر بشكل ملفت للنظر في بناء أطروحته هذه —وكثر ذكره مرارا— بفكرة فيلسوف التاريخ الألماني، "هرمان كيسرلنج" (1880–1946م). تأثره هذا يرجع إلى تأليف كيسرلنج المعنون "البحث التحليلي لأوروبا"، حيث يقول: ((ومع الجرمانيين ظهرت روح خلقية سامية في العالم المسيحي))، بل ولم يتردد كيسرلنج في القول: ((إن الميلاد النفسي للحضارة المسيحية متوافق مع ظهور روح خلقي ... بل إن الروح المسيحية ومبدأها الخلقي هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوربا سيادتها التاريخية)). وبالجملة، يتلخص أن الأمر يتعلق بحالة خاصة وشروط خلقية وعقلية ضرورية للإنسان لكي يستطيع أن ينشئ ويبلغ حضارة (بن نبي، 2000أ: 61–62).

واستخلصت آراء كيسرلنج من دور الفكرة المسيحية في تركيب الحضارة المسيحية الغربية مما يمد بن نبي بتخطيط تحليلي للواقعة المسيحية لكي يتمكن من أن يدرج في نطاقه الواقعة الإسلامية، لما فيها من وجوه التماثل البيولوجية التاريخية المعينة التي تضع الحضارة في كلتي الواقعتين ضمن حالات تطورية متشابهة، وهي الحالات الثلاث: النهضة، والأوج، والأفول.

انطلاقا من الفكرة التي بناها، فإنه مما يجدر للاختبار والبحث فيه بواقعنا الحالي عما يتعلق بتفسير الواقع الاجتماعي عن تأثير الفكرة الدينية في تكوين الحضارة هو النظر إلى شأن الأديان وحاجة الناس إليها في الوقت المعاصر. فقد شهدنا وقائع عدة وتحولات جمّة في القرن العشرين منذ سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م، وتحولت تركيا من خلافة إسلامية إلى جمهورية سيكولارية[i] (secularism) بفصل الدين عن الدولة في التاريخ المؤدية إلى الانحطاط والتدهور. كما شهدنا أيضا الحرب العالمية الأولى والثانية التي تهز العالم وتغيّر الجيو السياسية لدول العالم، وغيرها من الحرب الباردة والحرب للحصول على مصادر طبيعية.

ومع ذالك، فقد وصلت الحضارة الغربية، في نفس الوقت، المتمثلة بأوربا باختزال دور الدين من حياة المجتمع إلى التقدم الباهر من حيث أن بلغت إلى ذروة هائلة من تقدمها المادي بعد تاريخ فصل الدين عن الدولة المعروف ببداية عصر السيكولارية (secularism) منذ العصور الوسطى. على الرغم من أنهم فضلوا تسمية حضارتهم بالحضارة اليهودية–المسيحية (Judo-Christian) تالية للحضارة الإغريقية–الرومانية (Greco-Romano) القديمة (Al-Attas, 2014)، غير أنهم قد حصلوا على تقدم باهر في العلوم البحثية والتقنيات والعلوم التجريبية حتى أن وصلوا إلى العصر الحديث أو العصر ما بعد الحداثة الآن، مع كونهم مبتعدين عن الدين. بل قاموا بشعار المجاهرة بدور ما بعد السيكولارية (post-secularism) الحالية المبتعدة عن الدين المتسمة باللادينية (atheism) أو حتى باللاأدرية (agnosticism).

والسؤال يزداد تعقيدا عند إجابة سؤال بعده عن مدى أهمية الدين وحاجة الناس إليه في العصر الحالي المتقدم المعروف بعصر تكنولوجيا المعلومات، عند ما أصبحت شؤون دينية مقتصرة على معيار أمور فردية (private) فقط مثل ما طبقه معظم الدول المتقدمة الغربية؟

فإن مثل هذه الوقائع لم تحدث في زمان حياة مالك بن نبي أثناء كتابته "لشروط النهضة"، لأن جلّ اهتمامه في تقديم تحليل منهجي لتاريخ الحضارة الغربية والإسلامية. ولكن هناك في دراسة التاريخ إشارات تدل على إمكانية حدوث تشابه وقائع تاريخية. فمالك بن نبي لم يتحدث عن السيكولارية أو عهد ما بعد السيكولارية، ولكنه في اعتماد وثيق مقتنع بأطروحته بدور تأثير الفكرة الدينية في بناء الحضارة. وعلى هذا، استنتج مالك بن نبي فكرته: "بأن الوسيلة إلى الحضارة متوافرة مادامت هنالك فكرة دينية تؤلف بين العوامل الثلاثة: الإنسان، والتراب، والوقت، لتركب منها كتلة تسمى في التاريخ حضارة. ومشكلات الحضارة تقع عند عدم توفر فكرة دينية تحيطها وتهدد مدنيتها بالفناء" (بن نبي، 2000أ: 64).

ومما يؤيد ما بنى عليه مالك بن نبي من فكرته المذكور أعلاه أن التجارب التاريخية تشهد على أن ظهور الشيوعية المتمثلة بقيام الاتحاد السوفييتي بعد انتشار مؤلفات كارل ماركس (1818–1883م) وأنجلز (1820–1895م)، فإنه مضطر إلى اعتبارها أزمة للحضارة المسيحية، بل للإنسانية كلها (بن نبي، 2000أ: 60)، ويؤيد ذلك سقوط نظام الاتحاد السوفييتي سنة 1991م.

من المعقول إذن فكرة مالك بن نبي على تأثير الفكرة الدينية كمركب الحضارة. لتسهيل فهمنا، في هذا الصدد، يمكننا طرح سؤال بسيط: بالملاحظة إلى التاريخ، ما هو سر القوة الكامنة التي تزعزع وتغيّر مكة من حالتها الأولى، أرض بدوية خالية من الديانة السابقة والثقافة إلى أن أصبحت أرض حضارية ومدنية؟ (Hart, 1992). وما هي العوامل الهامة التي تسهم سير تاريخ الإسلام والمسلمين حتى أصبح الإسلام ليس الدين فقط، ولكنه حضارة؟ (Hodgson, 1974). هذا، ويمكننا تقديم سؤال يليه بناء على وقائع تاريخية، ما هو الدافع الذي كان يحث الصحابة يقوم بأضعاف العمل في حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب؟ وأمثالها من الأسئلة.

بدراسة الدورة التاريخية على حسب فكرة ابن خلدون، علمنا أن الحضارة تبتدأ في بادئ الأمر من الروح. "فالحضارة لاتنبعث إلا بالعقيدة الدينية. ولا يختلف تطور الحضارة المسيحية عن تطور الحضارة الإسلامية إذ هما ينطلقان من الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها الخاص وتوجهه نحو غايات سامية ... لذلك، فقد كانت العوامل الثلاثة: الإنسان، والتراب، والوقت راكدة خامدة، بل مكدسة لاتؤدي دورا ما في التاريخ، حتى تجلت الروح، فنشأت من بين هذه العناصر الثلاثة المكدسة حضارة جديدة" (بن نبي، 2000أ: 56-57).

إذن كانت الحضارة—حسب مفهوم مالك بن نبي—تبتدأ بالروح أولا حيث إنها لاتظهر في أمة من الأمم إلا في صورة يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا. من الروح، تدفع الأمة بقوتها إلى القمة الخلقية الرفيعة التي انتشرت منها حياة فكرية واسعة متجددة. ويبدأ العلم ينتشر على أيدي العلماء الذين جعلوا العقيدة الدينية منطلق ومحرك في البحث عن الحق وتحصيل العلم، كما هو مشاهد في تاريخ الحضارة الإسلامية عند العباقرة التي سطعت أسماؤهم في جو المعرفة، كالفارابي، وابن الهيثم، وابن سينا، وابن رشد إلى ابن خلدون. ثم بدأت الحضارة بعد ذلك أفولها بعد أن تفقد الروح ثم العقل (بن نبي، 2000أ: 59).

وتاريخ الحضارة الإسلامية تمر بمراحل تؤكد أطوار الحضارة. ولاشك أن المرحلة الأولى من مراحل الحضارة الإسلامية تبتدأ بنزول الوحي إلى الرسول في غار حراء، وهذه هي المرحلة الرئيسية. وبعد التوسع والانتشار فوق الأرض، ازدهرت الحضارة الإسلامية بابتكارات علمية في مجال علوم شتى حصل عليها جهود علماء المسلمين العباقرة. وبعد فترات من الزمان، بعد أن انغمست الأمة الإسلامية في الساحات السياسية والحروب وتفقدت الروح والعقل، بدأت تعود الأمة إلى حالها الآن في طور الأفول فكأنما أصبحت أمة بدائية.

وعلى حد التعبير لمالك بن نبي أن "المدنيات الإنسانية حلقات متصلة تتشابه أطوارها مع أطوار المدنية الإسلامية والمسيحية. إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور فكرة دينية، ثم يبدأ أفولها بتغلب جاذبية الأرض عليها، بعد أن تفقد الروح ثم العقل" (بن نبي، 2000أ: 59). فدورة الحضارة تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة، كما أنها تنتهي في نهاية الدورة حينما تفقد الروح نهائيا ويكون الإنسان قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تماما.

6. خلاصة

هذا البحث المتواضع قد حاول بقدر الإمكان إحضار المناقشات حول فكرة لمالك بن نبي، مفكر إسلامي بارز في القرن العشرين من الجزائر، وتقديره تقديرا علميا لعمله الرائع المعنون "شروط النهضة". على الرغم من أن فكرته أوليا منبثقة من حماسته لتغيير أحوال شعبه في الجزائر بخاصتها، والأمة الإسلامية في قارة آسيا وأفريقيا بعامتها وإخراجها من حالتها المستعمرة أو القابلية للاستعمار من أي أنواع قبضة الاستعمار الغربي، لكن مالك بن نبي مازال—ولايزال—في محاولته الجادة لفحص قضايا ومشكلات الحضارة التي تحيط بالأمة الإسلامية بأسرها.

مالك بن نبي ركز جل اهتمامه أن لصناعة أي ناتج حضاري لابد من أن يحصل من تراكم القوى الثلاث ذات علاقة وظيفية حسب طريقة الجمع المستخدمة في علم الحساب من إنسان + تراب + وقت. ثم تقوم الفكرة الدينية كمركّب الحضارة أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض.

وتأثير الفكرة الدينية ذو أهمية كبرى في بناء الحضارة. وتكون الفكرة الدينية رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ، ومن دونها لا يتم التفاعل المطلوب.

قائمة المراجع

بن نبي. مالك. (1984). مذكرات شاهد للقرن. دمشق: دار الفكر

بن نبي. مالك. (2000أ). شروط النهضة. دمشق: دار الفكر

بن نبي. مالك. (2000ب). الظاهرة القرآنية. دمشق: دار الفكر

بن نبي. مالك. (2001). فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ. دمشق: دار الفكر

بن نبي. مالك. (2002). مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي. دمشق: دار الفكر

الريسوني. أحمد. (2011). فقه الاحتجاج والتغيير (حوارات ومقالات). القاهرة: دار الكلمة

Al-Attas. Syed Muhammad Naquib. 1995. *Prolegomena to the Metaphysics of Islam*. Kuala Lumpur: ISTAC

Al-Attas. Syed Muhammad Naquib. 2014. *Islam and Secularism*. Kuala Lumpur: IBFIM

Hart. H. Michael. 1992. *The 100 a Ranking of the Most Influential Persons in History*. Carol Publishing Group

Hodgson. Marshall G. S. 1974. *The Venture of Islam Conscience and History in a World Civilization*. Chicago: The University of Chicago Press

[أ] لا نترجم كلمة "secularism" بالعلمانية كما هو معمول ومشهور في الاستعمال، لأن كلمة العلمانية من العلم وله معنى عظيم وكريم، بينما كلمة "secularism" من تجربة أوروبية في العصور الوسطى ولم نشهد نحن المسلمون مثل تلك الحالة السيئة في فصل الدين عن الدولة والفكرة الثنائية، فلنترك المصطلح كما هي: السيكولارية. ينظر العطاس (1995).

Religious Idea, Catalyst, Historical Cycle, Human Capital, Doctrine of Change

ORIGINALITY REPORT

7%	3%	1%	5%
SIMILARITY INDEX	INTERNET SOURCES	PUBLICATIONS	STUDENT PAPERS

PRIMARY SOURCES

1	Submitted to University of Mosul Student Paper	2%
2	iacqa.org Internet Source	1%
3	Submitted to College of Education for Pure Sciences/IBN Al-Haitham/ Baghdad University Student Paper	1%
4	Submitted to Al Ain University Student Paper	1%
5	Submitted to Arab Open University Student Paper	<1%
6	thesis.univ-biskra.dz Internet Source	<1%
7	heritage.kemenag.go.id Internet Source	<1%
8	scholarblogs.emory.edu Internet Source	<1%
	sigaa.ufrn.br	

9	Internet Source	<1%
10	media.rasoulallah.net Internet Source	<1%
11	Submitted to Ajman University of Science and Technology Student Paper	<1%
12	Submitted to Amman Arab University for Graduate Studies Student Paper	<1%
13	Hamowy. Encyclopedia of Libertarianism Publication	<1%
14	Submitted to La Sagesse University Student Paper	<1%
15	Submitted to Naif Arab University for Security Sciences Student Paper	<1%
16	Submitted to Al Zaytoonah University Student Paper	<1%
17	Submitted to Jinan University Student Paper	<1%
18	ejournal.undip.ac.id Internet Source	<1%
19	archive.org Internet Source	<1%

Exclude quotes	Off	Exclude matches	Off
Exclude bibliography	On		

Religious Idea, Catalyst, Historical Cycle, Human Capital, Doctrine of Change

GRADEMARK REPORT

FINAL GRADE

/0

GENERAL COMMENTS

Instructor

PAGE 1

PAGE 2

PAGE 3

PAGE 4

PAGE 5

PAGE 6

PAGE 7

PAGE 8

PAGE 9

PAGE 10

PAGE 11

PAGE 12

PAGE 13

PAGE 14

PAGE 15

PAGE 16

PAGE 17

PAGE 18

PAGE 19